

تفسير البحر المحيط

@ 366 سحر . { سَأُرْهِقُهُ } : أي سأكلفه وأعنته بمشقة وعسر ، { صَعُودًا } :
عقبة في جهنم ، كلما وضع عليها شيء من الإنسان ذاب ثم يعود ، والصعود في اللغة : العقبة
الشاقة ، وتقدير شرح عنيد في سورة إبراهيم عليه السلام . .
{ إِنْ زَّهَّهْ فَكَّـرَـ وَ قَدَّـرَـ } : روي أن الوليد حاج أبا جهل وجماعة من قريش في أمر
القرآن وقال : إن له لحلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن فرعه لجناة ، وإنه ليحطم ما تحته ،
وإنه ليعلو وما يعلى ، ونحو هذا من الكلام ، فخالفوه وقالوا : هو شعر ، فقال : وإنا ما
هو بشعر ، قد عرفنا الشعر هزجه وبسيطه ، قالوا : فهو كاهن ، قال : وإنا ما هو بكاهن ،
لقد رأينا الكهان ، قالوا : هو مجنون ، قال : وإنا ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنون
وخنقه ، قالوا : هو سحر ، قال : أما هذا فيشبه أنه سحر ويقول أقوال نفسه . وروي هذا
بألفاظ غير هذا ويقرب من حيث المعنى ، وفيه : وتزعمون أنه كذب ، فهل جريتم عليه شيئاً
من الكذب ؟ فقالوا : في كل ذلك اللهم لا ، ثم قالوا : فما هو ؟ ففكر ثم قال : ما هو إلا
ساحر . أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ؟ وما الذي يقوله إلا سحر يؤثره
عن مثل مسيلمة وعن أهل بابل ، فارتج النادي فرحاً وتفردوا متعجبين منه . وروي أن
الوليد سمع من القرآن ما أعجبه ومدحه ، ثم سمع كذلك مراراً حتى كاد أن يقارب الإسلام .
ودخل إلى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مراراً ، فجاءه أبو جهل فقال : يا وليد ، أشعرت
أن قريشاً قد ذممتك بدخولك إلى ابن أبي قحافة ، وزعمت أنك إنما تقصد أن تأكل طعامه ؟
وقد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد ، وما يخلصك عندهم إلا أن تقول في هذا الكلام قولاً يرضيهم
، ففتنه أبو جهل فافتتن وقال : أفعل . { إِنْ زَّهَّهْ فَكَّـرَـ } : تعليل للوعيد في قوله : {
سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا } . قيل : ويجوز أن يكون { إِنْ زَّهَّهْ فَكَّـرَـ } بدلاً من قوله : {
إِنْ زَّهَّهْ كَانَ لَأَيَاتِنَا عَنِيدًا } ، بياناً لكنه عناده وفكر ، أي في القرآن ومن أتى
به ، { وَ قَدَّـرَـ } : أي في نفسه ما يقول فيه . { فَ قَتَّلَ كَيْفَ قَدَّـرَ } ، قتل :
لعن ، وقيل : غلب وقهر ، وذلك من قوله : .
لسهميك في أعسار قلب مقتل .
أي مذلل مقهور بالحب ، فلعن دعاء عليه بالطرد والإبعاد وغلب ، وذلك إخبار بقهره وذلته
، و { كَيْفَ قَدَّـرَ } معناه : كيف قدر ما لا يصح تقديره وما لا يسوغ أن يقدره عاقل ؟
وقيل : دعاء مقتضاه الاستحسان والتعجب . فقيل ذلك لمنزعه الأول في مدحه القرآن ، وفي
نفية الشعر والكهانة والجنون عنه ، فيجري مجرى قول عبد الملك بن مروان : قاتل الله

كثيراً ، كأنه رآنا حين قال كذا . وقيل : ذلك لإصابته ما طلبت قريش منه . وقيل : ذلك ثناء عليه على جهة الاستهزاء . وقيل : ذلك حكاية لما كرروه من قولهم : قتل كيف قدّر ، تهكماً بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ، وهذا فيه بعد . وقولهم : قاتلهم ا ، مشهور في كلام العرب أنه يقال عند استعظام الأمر والتعجب منه ، ومعناه : أنه قد بلغ المبلغ الذي يحسد عليه ويدعى عليه من حساده ، والاستفهام في { كَيْفَ قَدَّرَ } في معنى : ما أعجب تقديره وما أغربه ، كقولهم : أي رجل زيد ؟ أي ما أعظمه .

وجاء التكرار بثم ليدل على أن الثانية أبلغ من الأولى للتراخي الذي بينهما ، كأنه دعى عليه أولاً ورجى أن يقلع عن ما كان يرومه فلم يفعل ، فدعى عليه ثانياً ، { ثُمَّ } : نَطَرَ { : أي فكر ثانياً . وقيل : نظر إلى وجوه الناس ، { ثُمَّ عَيْسَ وَبَسَرَ } : أي قطب وكلح لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول . وقيل : قطب في وجه رسول ا صلى ا عليه وسلم) . { ثُمَّ أَدْبَرَ } : رجع مدبراً ، وقيل : أدبر عن الحق ، { وَاسْتَكْبَرَ } : قيل : تشارس مستكبراً ، وقيل : استكبر عن الحق ، وصفه بالهيئات التي تشكل بها حين أراد أن يقول : ما قال كل ذلك على سبيل الاستهزاء ، وأن ما يقوله كذب وافتراء ، إذ لو كان ممكناً ، لكان له هيئات غير هذه من فرح القلب وظهور السرور والجدل والبشر في وجهه ، ولو كان حقاً لم يحتج إلى هذا الفكر لأن الحق أبلغ يتضح بنفسه من غير إكداد فكر ولا إبطاء تأمل . ألا